

أعضاء البيان

@ 169 @ لها من الانتهاء إلى ذلك الوقت ، والمراد ببقاء ربهم : الأجل المسمّى ، انتهى كلام صاحب (الكشف) ، في تفسير هذه الآية . .

وما دلّت عليه هذه الآية الكريمة من أن خلقه تعالى للسموات والأرض ، وما بينهما لا يصحّ أن يكون باطلاً ولا عبثاً ، بل ما خلقهما إلاّ بالحق ؛ لأنه لو كان خلقهما عبثاً لكان ذلك العبث باطلاً ولعبثاً ، سبحانه وتعالى عن ذلك علوّاً كبيراً ، بل ما خلقهما وخلق جميع ما فيهما وما بينهما إلاّ بالحق ، وذلك أنه يخلق فيهما الخلائق ، ويكلّفهم فيأمرهم ، وينهاهم ، ويعدّهم ويوعدهم ، حتى إذا انتهى الأجل المسمّى لذلك بعث الخلائق ، وجازاهم

فيظهر في المؤمنين صفات رحمته ولطفه وجوده وكرمه وسعة رحمته ومغفرته ، وتظهر في الكافرين صفات عظمتهم ، وشدة بطشه ، وعظم نكاله ، وشدة عدله وإنصافه ، دلّت عليه آيات كثيرة من كتاب الله ؛ كقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا * السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ } .

أَكْثَرَهُمْ ° لَا يَعْلَمُونَ { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ } ،
 فقوله تعالى : { إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ } ، بعد قوله : { مَا خَلَقْنَاهُمْ إِلَّا -
 بِالْحَقِّ } ، يبين ما ذكرنا . وقوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا * السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُنَّ إِلَّا بِالْحَقِّ } وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ . . .

فَقَوْلُهُ تَعَالَى : { وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ } ، بَعْدَ قَوْلِهِ : { وَمَا خَلَقْنَا * السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ } يُوْضِحُ ذَلِكَ ، وَقَدْ أَوْضَحَهُ تَعَالَى فِي قَوْلِهِ : { وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى } {

وقد بيّن جلّ - وعلا أن الذين يظنون أنه خلقهما باطلاً لا لحكمه الكفار ، وهددهم على ذلك الظنّ الكاذب بالويل من النار ؛ وذلك في قوله تعالى : { وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا ۖ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ } ، وبيّن جلّ - وعلا أنه لو لم يبعث الخلائق ويجازهم ، لكان خلقه لهم أوّلاً عبثاً ، ونزّه نفسه عن ذلك العبث سبحانه وتعالى عن كل ما لا يليق بكماله وجلاله علوّاً كبيراً ؛ وذلك في قوله تعالى : { أَفَحَسِبْتُمْ أَنْ نَزَّلَ مَا خَلَقْنَاكُمْ عَدِثًا ۖ وَأَنْ نَّزْكُمُوهَ إِذْ رَأَيْتُمْكُمْ كَرِهُونَ * فَتَعَالَى

اللَّهُمَّ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ . .
فهذه الآيات القرآنية تدلُّ على أنه تعالى ما خلق الخلق إلا بالحق ، وأنه لا بدُّ